المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية
كلية القرآن الكريم والدراسات
الإسلامية
قسم التفسير

ترجيحات الإمام ابن العربي في كتابه "أحكام القرآن"

عرضاً ودراسةً

من سورة المائدة إلى آخر الآية (٣٤) من سورة التوبة

بحث مقدم لنيل الدرجة العالمية العالية (الدكتوراه)

إشراف الأستاذ الدكتور/ عبد الله بن عمر الشنقيطي

إعداد الطالب/ آدم عثمان علي

المجلد الثاني

١٤٢٤ – ١٤٢٥هـ

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب].

أما بعد:

فإن الله عز وجل ـــ " أنزل على عبده الكتاب هدىً وذكرىً لأولي الألباب، وأودعه من العلوم النافعة، والبراهين القاطعة: غايةَ الحكمة وفصلَ الخطاب؛ وخصَّه من الخصائص العلية، واللطائف الخفية، والدلائل الجلية، والأسرار الربانية، بكل عجبٍ عُجاب، وجعله في الطبقة العليا من البيان، حتى أعجز الإنسانَ والجان، واعترف أرباب اللسان بما تضمنه من الفصاحةِ والبراعةِ والبلاغةِ والإعرابِ والإغراب؛ ويسَّر حفظَه في الصدور، وضمن حفظَه من التبديلِ والتغيير، فلم يتغيّر، ولا يتغيَّرُ على طولِ الدهور وتوالي الأحقاب؛ وجعله قولاً فصلاً، وحَكَماً عدلاً، وآيةً بادية، ومعجزةً باقية: يشاهدها من شهد الوحي ومن غاب؛ وتقوم بها الحجةُ للمؤمن الأوَّاب، على الكافرِ المرتاب، وهدى الخلقَ بما شرع

فيه من الأحكام، وبيَّن الحلالَ والحرام، وعلَّم من شعائرِ الإسلام، وصرَّف من النواهي والأوامرِ والمواعظِ والزواجر، والبشارةِ بالثواب، والنذارةِ بالعقاب، وجعل أهلَ القرآن أهلَ الله وخاصتَه، واصطفاهم من عباده، وأورثهم الجنةَ وحسنَ المآب "[1].

لهذا أدرك العلماء ـــ قِدْماً ـــ أن علمَ القرآنِ العظيم : هو أرفع العلومِ قدراً. وأجلُّها خَطَراً، وأعظمُها أجراً، وأشرفُها ذكراً؛ مما حدا بهم إلى الاشتغال بخدمةِ القرآن وتعلمِه وتعليمِه، فصنفوا فيه التصانيفَ المختلفةَ الأوصاف، المتباينةَ الأصناف.

فمنهم من قصد إلى رواية الآثار المتعلقة بالآيات الكريمة، ومنهم من صرف عنايتَه إلى استنباطِ الأحكامِ الفقهية، وطائفةٌ اشتغلت ببيان غريبه وإعرابه، وآخرون نقَّبوا عن لطائفه ونكاته، فأظهروا بلاغتَه وروائعَ بيانه.

ومن هؤلاء الذين لهم الباع الطويل في خدمة التنـــزيل الإمام القاضي أبو بكر ابن العربي الحافظ، الفقيه، الأصولي، المفسر...

قال تلميذه القاضي عياض عنه: " قيّد الحديث، واتسع في الرواية، وأتقن مسائلَ الخلاف والأصولِ والكلامِ على أئمة هذا الشأن " اهـــ.

وقال عنه ابن بَشْكَوال: " الإمام العالم الحافظ، المستبحر ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها، كان من أهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها، والجمع لها، متقدماً في المعارف كلِّها، متكلماً في أنواعها ناقداً في جمعها، ثاقبَ الذهن في تمييز الصواب فيها " اهـــ.

وكان التفسير أكبرَ علمٍ صرف القاضي فيه جهدَه ووقتَه في تحرير مسائله، وليس من الغلو في القول إذا قيل: إنَّ جلَّ عطاه العلمي صرفه إلى التفسير؛ إذ أملى كتابه " أنوار الفجر في مجالس الذكر " الذي يُعَدُّ من أكبر الموسوعات العلمية في مجالس التفسير عرفها تاريخُ هذا العلم، فقد ذكر القاضي أنَّه ألَّفه في عشرين عاماً، وأنَّه يقع في ثمانين مجلداً، كلُّ مجلد يحوي ألفَ ورقة، أملاه في مجالسه العامة التي كان يعقدها للتذكير والوعظ، فكان كُلَّما فرغ من مقدار منه تناوله تلاميذه فتناسخوه فتفرق بأيدي الناس.

قال ـــ رحمه الله ـــ: " وقد كنَّا أملينا فيه (التفسير) في كتاب "أنوار الفجر" في عشرين عاماً ثمانينَ ألف ورقة، وتفرقت بين أيدي الناس، وحصل عند كل طائفة منها فن،

(١) من مقدمة الإمام ابن جزي لكتابه التسهيل ص /٢

وقد ندبتهم إلى أن يجمعوا منها ولو عشرين ألفاً، وهي أصولها التي ينبني عليها سواها، وينظمها على علوم القرآن الثلاثة: التوحيدِ، الأحكام، التذكير؛ إذ لا تخلو آية منه بل حَرْفٌ عن هذه الأقسام الثلاثة ".

وخصَّ الأحكام من بين علوم القرآن بهذا الكتاب الذي قلَّ أن ترى العينُ مثلَه في نسجه وإحكامه كما قال الذهبي: " وفسَّر القرآن المجيد فأتى بكل بديع " اهـــ.

هذا، وإنَّ من المباحث التي تسترعي الانتباه: ما يقوم به القاضي ـــ رحمه الله ـــ من مناقشات لبعض المعاني المختلفة، والاستنباطات المتباينة في آي الذكر الحكيم، وترجيح ما يراه راجحاً؛ لذا صحَّ مني العزم على أن يكون موضوعُ بحثي؛ لنيل درجة العالِمية العالية " الدكتوراه" تلك المسائل التي للقاضي فيها مذهب ظاهرٌ وأسميته:

ترجيحاتِ الإمام ابن العربي في كتابه أحكام القرآن

عرضاً ودراسةً

من سورة المائدة إلى آخر الآية (٣٤) من سورة التوبة

مشاركةً مني في البحث الذي قام به الزميل الشيخ/ محمد سيدي عبد القادر في هذا الموضوع.

أسباب الاختيار

الدوافع إلى اختيار هذا الموضوع كثيرة منها:

١- أهمية الموضوع؛ وذلك أنَّه قد كثرت المؤلفات في التفسير بيد أنَّ الذين اهتموا بذكر الراجح قلة قليلة، ومن هؤلاء القاضي ابن العربي ـــ رحمه الله ـــ في كتابه (أحكام القرآن).

٢- مكانة مؤلف الكتاب؛ فهو إمام مفسر، محدثٌ، فقيه، أصولي، لغوي، أديب، ناقد، ويشهد لتضلعه بتلك العلوم كتابه هذا، كما يشهد بذلك المترجمون له. فهذه الكفاءة تكسب الترجيحَ قوة.

٣- مكانة الكتاب وقيمته العلمية بين كتبِ التفسير عامة، وكتبِ الأحكام خاصة.

ويتلخص ذلك في وجوه:

أحدها: كونه أحدَ المصنفات الكبار في هذا اللون من التفسير (التفسيرِ الأحكامي).

ثانيها: جودة عرض المؤلف لمادته؛ إذ يذكر الآية، ويقسم الكلامَ عنها إلى مسائل عدة، مضمناً كلَّ مسألة ما فيها من أقوال، ثم يقوم بنخلها[٢] وتنقيحها[٣] ـــ أحياناً ـــ ويرجح ما يراه راجحاً في الأعمِ الأغلب.

ثالثها: أنَّه إلى جانب بيانه لآيات الأحكام يذكر أسبابَ النـــزول، والأحاديثَ المرفوعةَ في معاني الآيات، والأحكامَ ذات الصلة بالآي ـــ تصحيحاً وتضعيفاً ـــ والناسخَ والمنسوخ، والمسائلَ اللغوية، والأصوليةَ، إلى غير ذلك من العلوم التي لها مساسٌ بالآيات التي تناولها تفسيراً.

٤- البحث عن معرفة الراجح في معاني الكتاب العزيز وأحكامه من أهم مقاصد تحصيل العلم الشرعي، لذا كان الاشتغال به من أوجب الواجبات على طالب العلم.

٥- هذا الموضوع يمثل لوناً من ألوان التفسير، وهو المسمى بـــ "التفسير المقارن" الذي يعرض النصوص والآراء، ويوازن بينها، ويبين الراجح ويرد المرجوح.

٦- كما أنَّه يسهم كثيراً في تحقيق القول الصواب في كثير من المسائل المختلف فيها في المعاني والأحكام، فعندما نطالع كتب التفسير والأحكام نجد حشداً كبيراً من الأقوال؛ منها الصحيح، ومنها الضعيف الذي لا دليل عليه، أو لا دلالة عليه فيما يذكر دليلاً له.

٧- كما أنَّ هذه الدراسة تكشف عن وجوه الخطأ في الأقوال المرجوحة بطريقة علمية دقيقة، وتبرز المنهج الأمثل في مجال الترجيح.

---

(٢) مادة (نخل) تدل على انتقاء الشئ واختياره، ومنه يقال: نخل الشئ وانتخله؛ أي استقصاه حتى أخذ أفضله. ينظر: مقاييس اللغة ٤٠٧/٥، مختار الصحاح ص/٦٥١

(٣) مادة (نقح) تدل على تنْحِيتِ شيئ عن شيئ، ومنه يقال: شِعْر منقح أي مهذّب، وملقىً عنه ما لا يصلح فيه. ينظر: مقاييس اللغة ٤٦٧/٥، مختار الصحاح ص/٦٧٥

٨- تتيح هذه الدراسة للباحث الوقوف على كم كثير من كتب التفسير والحديث والفقه والأصول واللغة تبعاً لتنوع المسائل التي يعرض لها القاضي، مما يكسب الطالب توسعاً في المعارف الإسلامية.

٩- إنَّ المؤلف ـــ رحمه الله ـــ قد يرجح أحياناً بعض الأقوال دون أن يذكر دليله، مما يجعل الكشف عن ذلك المرجح ـــ باسم الفاعل ـــ تكميلاً لمقصود الكتاب.

١٠- كما أنَّه يرد أحياناً القول المرجوح دون بيان مُسوِّغ الرد، مما يجعل الإفصاح عن علة الضعف متطلباً علمياً.

خطة البحث

اقتضت طبيعة الموضوع أن تكون خطَّته على مقدمة وقسمين وخاتمة وفهارس.

المقدمة: وفيها:

أ ـــ التنويه بالقرآن الكريم.

ب ـــ أسباب اختيار الموضوع.

ج ـــ خطة البحث.

د ـــ المنهج في كتابة هذا البحث.

هـ ـــ التعريف بالمصطلحات الواردة في الرسالة.

و ـــ شكر وتقدير.

القسم الأول: ترجمة موجزة للإمام ابن العربي، مع دراسة منهجه في الترجيح، ومصادره في مسائله، وذكر من أفادوا منه وتأثروا به.

وتحته ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في ترجمة موجزة عنه، وفيه مباحث:

المبحث الأول: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه.

المبحث الثاني: مولده ونشأته.

المبحث الثالث: حياته العلمية ورحلاته.

المبحث الرابع: أشهر شيوخه.

المبحث الخامس: أشهر تلاميذه.

المبحث السادس: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

المبحث السابع: منهجه العقدي.

المبحث الثامن: أشهر مؤلفاته.

المبحث التاسع: وفاته.

الفصل الثاني: في دراسة منهجه في الترجيح، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الترجيح.

المبحث الثاني: ألفاظُ الترجيح وأساليبُه عند القاضي ابن العربي.

المبحث الثالث: قواعد الترجيح التي أخذ بها القاضي في مسائله مع ذكر نماذج لذلك.

الفصل الثالث: في ذكر مصادره ومن أفادوا منه وتأثروا به، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مصادره في مسائله.

المبحث الثاني: من أفادوا منه وتأثروا به.

القسم الثاني: في عرض المسائل التي وقع فيها الترجيح من خلال كتابه (أحكام القرآن) ودراستها وتحليلها مرتبةً حسب ترتيب القرآن الكريم من سورة المائدة إلى آخر الآية (٣٤) من سورة التوبة. كما يلي:

١- سورة المائدة.

٢- سورة الأنعام.

٣- سورة الأعراف.

٤- سورة الأنفال.

٥- سورة التوبة.

الخاتمة: وذكرت فيها أهم النتائج التي تمخض عنها البحث.

الفهارس: وضعت بعض الفهارس العلمية تسهيلاً للاستفادة من محتويات الرسالة، وهي:

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث والآثار.

٣- فهرس الأعلام.

٤- فهرس الأماكن والبلدان.

٥- فهرس الأشعار.

٦- فهرس الغريب.

٧- فهرس المصادر والمراجع.

٨- فهرس الموضوعات.